

ظلل فاجعة الطف على الشعر الشيعي

د. الشيخ جاسم الأديب



دخل عليه من توسيع في الأفق وتطور ملحوظ،

فقد جاء بوصف دقيق وتصوير حي يكاد

يحس القارئ منه أن دم النبوة ما يزال ينづ

في كلمات البيت وحروفه، حيث أصوات تلك

النازلة قلوب العلويين وسائر شيعةأهل

البيت فأحرقتها، وفجرت رقابهم فجادوا

بالرثاء والحزن والمرارة، ونظموا في وصف

ذلك المجزرة الفظيعة والمواقوف المشجبة،

والمشاهير المؤلمة، ما يصدع القلوب، وبعثت

فرو جودي بدموع المسكوب.

قال: فصاحت وصحن النساء، فقال أبو عبد

الله عليه: الباب الباب، فاجتمع أهل المدينة

على الباب، قال: فبعث إليهم أبو عبد الله عليه

صبي لاغشى عليه فصحن النساء.

من بركات النظم الحسيني

لعب الشعر والشعراء دوراً عظيماً في إيصال

صوت الواقعية وتجسيد ما جرى على الإمام

الحسين عليه ومن كانوا في واقفة كربلاء ونقلوا

للأجيال عبر العصور المختلفة أموراً كثيرة عن

هذه الأوضاع نشر إليها باختصار منها:

١. انقل الأحداث

وقد أبدع شعراء الشيعة في هذا الجانب ولم يتكرروا

وقال: عاشروا تغيبوا الأقام الممزيفة والأيدي

المajorة بل نظموا في كل ما جرى فيها بدقة

عالية، ومكملاً على ذلك فقد صفت الدمع.

الملفت للانتباة إن قتل الإمام الحسين عليه

جاولت العلويات بعد مصرعه الشريف، فقال:

فأقبلن ريات الحال وللأسى

تفاصيل لا يحيى لهن مُفضل

فواحدة تحنو عليه تضمه

وآخر عليه بالرداء أَضَلَّ

وآخر فيضن الحر تصبغ وجهها

وآخر تفنيه وأخرى تقبل

وآخر على خوف تلاؤه بجنبه

وآخر لما فتنها ليس تعقل

وآخر دعاهما فادح الخطب بقعة

فأدهلها والخطب يدهي وذهل

وجاء لشمر زينب ابنة فاطمة

تعنه عن فعله وتعذر

تدافعه بالكتف طوراً وتارة

إليه بطيء جدها تتسل

أيا شمر هذا حاجة الله في الوري

أعد نظراً يا شمر إن كنت تعقل

٢. التصوير الدقيق

وهذا مما أبدع فيه شعراء الطف وتفنوا به

حيث إنهم وبتصورهم الدقيق وبخيالهم

الربيع الرائع فخرعوا عاطفياً البشرية وأقرعوا

جفون الموالين ومكملاً على ذلك ما أنشده

السيد رضا الهندي عليه: قال:

صلت على جسم الحسين سيفهم

فגדاً لساجدة الطبا محرباً

ومضى لهيفاً لم يجد غير القنا

ظلاً ولا غير النجيع شراراً

ظمآن ذاب فؤاده من غلأة

لو مست الصخر الأصم لذاباً

لهفي لجسمك في الصعيد مجرداً

عيان تكسوه الدماء ثياباً

ترث العجائب وعرين كل موحد

ودت لجسمك لو تكون ترباً

لهفي لرأسك فوق مسلوب القنا

يكسوه من أنواره جلباباً

يتلو الكتاب على السنان وإنما

رفعوا به فوق السنان كتاباً

٣. الحماسة

وقد وجد منصف يذكر مأساة الشيعة وما

فاجعة الطف الكثير من المعاناة العمالية

التي جعلوها كمادة خصبة في نظمهم

الحساني الذي ألهيوا به العالم.

فمن آيات السيد جعفر الحلي عليه: يستعرض

فيها حماسة أبي الفضل العباس عليه: وبطوطه

الحيدري، قال:

عيست وجوه القوم خوف الموت

والعباس فيهم ضاحك متسم

قلب اليدين على الشمال وغضاف في

الأوساط يحتفظ النفس ويطحطم

وثني أبو القضل الفوارس نكساً

فراوا أشد ثيابهم أن يهربوا

ما كر ذو باس له متقدماً

لا وفتر وراسه المتقدم

بطل تورث من أبيه شجاعة

فيها أشرف بنى الضلالة ترسم

أوتشتكى العطش الفواطم عنده

وتصدر صعدته الفرات المفعم

في كفه اليسرى السقاء يقله

وبكه اليمنى الحسام المخذم

قسىماً بصارمه الصقيل وإنني

في غير صاعقة السماء لا أقسم

لولا القضا لمحما الوجود بسيفه

وأنه يقضى ما يشاء ويحكم

٤. التشبيه

وهو عالم آخر قدم فيه شعراء الطف صوراً

فريدة قل نظائرها في عالم التشبيه الشعري.

يقول الجواهري في أبياته:

وطفت يقبرك طوف الخيال

صوصومة الملهم البهد

كان يداً من راء الفريح

حمراء مبتورة الأصبع

تمد إلى عالم بالخنو

ومن أبي عمارة المنشد، عن أبي عبد الله عليه:

قال: قال لي: يا أبي عمارة أنشدنا للنبي في

الحسين عليه: قال: فأنشدته فيكي، قال: ثم

أنشدته فيك، قال: فواهله ما زلت أنشدته

ويبيكي حتى سمعت البقاء من الدار، فقال لي:

يا أبو عمارة من أنشد في الحسين بن علي عليه

فأبكي خمسين فله الجن، ومن أنسد في

الحسين مكانتها، فابكي أربعين فله الجن.

وعن أبي فيقيان بن مصعب العبيدي، قال:

دخلت على أبي عبد الله عليه: فقال: قولوا لهم

فرو تجيء فتسمع ما صنع بجدها، قال:

أشندا

قال: فلقت:

فرو جودي بدموع المسكوب.

قال: فصاحت وصحن النساء، فقال أبو عبد

الله عليه: الباب الباب، فاجتمع أهل المدينة

على الباب، قال: فبعث إليهم أبو عبد الله عليه

صبي لاغشى عليه فصحن النساء.

٥. التأثر

وقد أجاد شعراء الشيعة هذا الجانب من

الشعر وحذفه بأرقى معانيه وذلك لتفاعلهم

مع واقعية الطف ومعاييرهم الظلم والاضطهاد

الذي ألقواه من الحكومات الجائرة والسلطات

الbagy

وكشفوا

أهال

البيت

وقال:

فأقبلن ريات الحال وللأسى

تفاصيل لا يحيى لهن مُفضل

فواحدة تحنو عليه تضمه

وآخر عليه بالرداء أَضَلَّ

وآخر فيضن الحر تصبغ وجهها

وآخر تفنيه وأخرى تقبل

وآخر على خوف تلاؤه بجنبه

وآخر لما فتنها ليس تعقل

وآخر دعاهما فادح الخطب بقعة

فأدهلها والخطب يدهي وذهل

وجاء لشمر زينب ابنة فاطمة

تعنه عن فعله وتعذر

تدافعه بالكتف طوراً وتارة

إليه بطيء جدها تتسل

أيا شمر هذا حاجة الله في الوري

أعد نظراً يا شمر إن كنت تعقل

٦. العتاب

وفي العتاب تفرد كثير من شعراء الطف

وبرعوا في إشعارهم وهو ليس بعجيب منهم

إذ إن كثيراً منهم امتهنوا

الطفل واختلطت أرواحهم بوقعها

وألفتهم.

وقول السيد

وبيك

وبيك